الفصل الخامس
الدويلات المستقلة

١ – الحمدانية

٢ – الطولونية

٣ – الإخشيدية

الدولة المستقلة فى مصر والشام

بالرغم من قرب مصر والشام من قلب الخلافة العباسية، فقد تعرضت هذه الأقاليم إلى نفس الظواهر التى تعرضت لها أقاليم الدولة العباسية فى المشرق والمغرب. وهى ظاهرة الاستقلال وتفسر ذلك، أن عامل القرب أو البعد من مركز الخلافة لم يكن وحده هو المتحكم فى قوة أو ضعف الروابط التى ربطت الأطراف بالقلب. بل أن هناك عوامل أخرى أسهمت فى تكييف تلك الروابط والعلاقات منها: قوة الدولة نفسه، وقدرته على الإحساس بما يجرى فى الأطراف وإشعار هذه الأطراف بسيطرته عليها.

فكلما كان الخليفة العباسى فى بغداد قويا، مرهوب الجانب، مسموع الكلمة، يأتمر بأمره جيش قوى يدين بالولاء والطاعة له، كان اسم الخليفة وحده يستشير معنى الاحترام فى نفوس رعاياه فى المشرق والمغرب، أما فى الوقت الذى غدا فيه الخليفة العباسى ألعوبة فى أيدى قادة الجيش وأمرائه، يلهون به كيفما يشاءون، ويعزلونه متى يريدون، ويختارون من يرون ليحل محله... هذه هى صورة الوضع فى العاصمة التى ستنعكس على "مختلف الولايات، قربت من العاصمة بغداد أو بعدت عنها. وما دام أن قلب الدولة لا يحس بما يجرى فى أطرافها. وإذا أحس فهو إحساس من لا حول ولا قوة.

هذه الظواهر للخلافة العباسية، إضافة إلى الظروف الخاصة بمصر والشام، تشجع الولاة فى كل منهما على الاستقلال عن الخلافة العباسية، فى عصر انتشرت فيه الحركات الانفصالية فى أكثر من منطقة من مناطق الدولة العباسية.

فبلاد الشام بطبيعتها وجغرافيتها وأقاليمها المتباينة ما بين ساحلية وجبلية وصحراوية صارت مأوى وملاذا لكثير من المذاهب والحركات والجماعات الناقمة على الدولة العباسية. فضلا عن هذا أن أهل الشام لم ينسوا بعد أن بلادهم عاشت

أياما حلوة عندما كانت قلب العالم الإسلامى فى العصر الأموى، تتجمع فى خزائنها أموال الولايات الشرقية والغربية. وهم وقد رأوا العراق يعج بالموالى من فرس وأتراك. آلمهم هذا، وتحسروا على ما أصابهم وأصاب العرب بوجه خاص.

أما بالنسبة إلى مصر الغنية بثرواتها الطبيعية الضخمة كانت تغرى أى حاكم على الاستقلال بها. ما دامت توفر له الإمكانات المادية والبشرية الكبيرة التى تمكنه من إعداد الجيوش فى وجه أى محاولة من جانب السلطة المركزية فى بغداد أو سامراء، لزحزحته من مكانه. وإذا علمنا بأن يستقل بمصر يطمئن على كيانه وقدرته الدفاعية، ندرك العوامل المشجعة على الاستقلال بمصر عن جسم الخلافة العباسية.

لذا قامت على أرض الشام دولة لها مكانتها التاريخية، هى الدولة الحمدانية كما توالت على أرض الشام ومصر دول عدة منها: الدولة الطولونية والدولة الإخشيدية... إلخ.

١ - الدولة الحمدانية: ٢٩٢ - ٣٩٢هـ/٩٠٥ - ١٠٠٢م

ظهر الحمدانيون على مسرح أحداث الخلافة العباسية فى الوقت الذى بدأ فيه تصارع الأتراك على سلطة أمير الأمراء فى بغداد، ومدخلات الدول المستقلة فى مصر ممثلة فى مصر بالطولونيين ثم الإخشيديين والفاطميين. وجاء ظهورهم فى عهد الخليفة المعتضد الذى استعان بالحسين بن حمدان للقضاء على الخارجى هارون الشارى فجاء به أسيرا إلى الخليفة. ثم لم تلبث شهرتهم أن شاعت فى أوساط الناس بعد أن استعانت بهم الخلافة - بوصفهم قوة عربية - لإعادة التوازن ضد طغيان الأتراك من جهة، وللقضاء على أعداء الخلافة والخارجين عليها من جهة ثانية. لذلك كافأ الخليفة المقتدر بالله الحمدانيين فقلد أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان الموصل وما يليها سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م، كما ولى أخاه إبراهيم ديار ربيعة فى سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م، وأخاه سعيدا نهاوند سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م.

وتكررت الاستعانة بالحمدانيين لإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعى فى بغداد بعدما خرج البريديون على الخليفة المتقى لله. فاضطر إلى الفرار نحو الموصل هربا من البريديين الذين عاثوا فسادا فى بغداد فسادا فى بغداد. فلبى الحسين بن حمدان طلب الخليفة بمساعدته ضدهم، وكلف أخاه عليا مساندة الخليفة. فكافأ الخليفة المتقى لله الحسين بن حمدان بلقب "ناصر الدولة" وعلى أخيه على بلقب "سيف الدولة" وذلك سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م.

رأى سيف الدولة الحمدانى - على - أن الفرصة مواتية وسط الفوضى التى تسود العراق، وسار إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م وهرب واليها الإخشيدى يانس المؤنسى إلى مصر. عندها أرسل الإخشيد جيشا بقيادة كافور بطرد سيف الدولة الحمدانى من حلب. انتصر عليه الأخير عند الرستن على العاصى، وطمع فى مد سيطرته حتى دمشق. لكنه لم يقو على ذلك لأن الإخشيد جاء بنفسه على رأس قوة كبيرة من جيشه وتصدى له. ثم انتهى القتال بينهما بالصلح والاتفاق على أن يأخذ سيف الدولة حلب وما يليها من بلاد الشام شمالا ليكون الأخير حاجزا يقى بواسطته الإخشيديين هجمات الروم البيزنطيين الذين انتهزوا فرصة ضعف الدولة العباسية، وأخذوا يغيرون من وقت لآخر على أطرافها.

وما أن سمع سيف الدولة الحمدانى بوفاة الإخشيد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، وقيام كافور بالوصاية على ابنه أبى الحسن على، حتى نقض الاتفاق بين الطرفين. وهجم على دمشق واستولى عليها. لكن كافور أسرع بالمجئ إليها وأنزل به هزيمة اتفق بعدها الاثنان على العودة إلى العمل بالاتفاق القديم بين الإخشيد وسيف الدولة الحمدانى. ثم وجه سيف الدولة اهتمامه إلى غزو بلاد الروم حتى غزاها نحوا من أربعين غزوة شملت زبطرة وعرقة وملطية، انتصر فى غالبيتها. مما حدا بالشعراء للإشادة بانتصاراته وشجاعته، وبخاصة المتنبى الذى قال فيه أحسن شعره.

وهكذا أرسى سيف الدولة الحمدانى دعائم دولته فى حلب. فاستقطب بلاطه مشاهير العلماء والأدباء والشعراء أمثال المتنبى وأبى الفتح عثمان النحوى. وقد أجزل سيف الدولة العطاء للشعراء بسبب محبته للشعر وإجادته نظمه، وبادله الشعراء شعرا حسنا وفنا جيدا. كما اشتهر جماعة من أهل بيته كأبى فراس الحمدانى - ابن عمه - فى نظم الشعر، وهو حينما وقع فى أسر الروم فى إحدى غزواته، كتب أحسن شعره وهو فى الأسر متأسيا، شاكيا، عاتبا، طالبا، من سيف الدولة بحلب أن يفديه، لأنه نشأ فى رعايته. ومن ذلك قول أبى فراس مخاطبا سيف الدولة:

ولا تقعدون على، وقد سيم فديتى فلست عن الفعل الكريم بمقعد

فكم لك عندى من أياد وأنعم رفعت بها قدرى وأكثرت حسدى

هذا وقد اجتمع فى بلاط سيف الدولة أشهر اللغويين والنحويين فى زمانه مثل أبى على الفارسى وابن خالويه، وابن جنى، فضلا عن الفيلسوف الكبير الفارابى الذى كتب فى الطب والمنطق والإلهيات والسياسة والرياضة والكيمياء والموسيقى. أما الطبيب عيسى بن الرقى فقد قال عنه ابن أبى أصيبعة فى كتابه "طبقات الأطباء" "أن سيف الدولة كان يعطى عطاء لكل عمل، وكان عيسى الرقى يأخذ أربعة أرزاق: رزقا بسبب الطب، ورزقا بسبب ترجمة الكتب من السريانى إلى العربى، ورزقين بسبب علمين آخرين".

على أن الدولة الحمدانية سرعان ما تعرضت للضعف بعد وفاة سيف الدولة بحلب فى شهر صفر سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م. ذلك أن ابنه سعد الدولة: ٣٥٦/ ٣٨١هـ وحفيده سعيد الدولة: ٣٨١ - ٣٩٢هـ/ ٩٩١ - ١٠٠٢م. لم يستطعا فرض الأمن والقضاء على الثورات الداخلية التى كثرت فى عهديهما، إضافة إلى أن الروم البيزنطيين عاهدوا إلى تهديدهم فى الوقت الذى تطلع فيه الفاطميون إلى استرداد حلب إلى نفوذهم. ولم يمض القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى حتى اضطر الحمدانيون إلى الاعتراف بالخلافة الفاطمية مما أدى إلى

زوال حكمهم على أيدى الفاطميين. ولكن بالرغم من قصر عمرها فقد قامت بدور عظيم فى مجال السياسة والجهاد والحضارة يسترعى الانتباه.

٢ - الدولة الطولونية ٢٥٤ - ٢٩٢هـ/٨٦٨ - ٩٠٥م

أولى الخلفاء العباسيون مصر والشام اهتماما كبيرا نظرا إلى كونهما حلقة وصل بين مغرب الدولة ومشرقها. فتولى حكمها إداريا نائب الخليفة وولى عهده باعتبارهما وحدة إدارية واحدة. على أن مقر إقامته كان غما بدمشق فى الشام، أو بالعسكر فى مصر.

وفى أواخر العصر العباسى الأول، وبالتحديد منذ خلافة المعتصم، حقق نواب الخليفة مكتسبات كثيرة منها:

- حق الإقامة فى بغداد بصفة مستمرة.
- حق الخطبة لهم على المنابر.
- حق كتابة أسمائهم على السكة - النقود.

وبعد أن سيطر الأتراك على النفوذ فى العصر العباسى الثانى، أصبح الولاة منهم. لكن عز عليهم أن يبتعدوا عن بغداد أو سامراء، لذلك أنابوا عنهم رجالا يصرفون أمورهم باسمهم. الأمر الذى جعل نواب الولاة - مع الأيام - ينتهزون فرصة انشغال الولاة بما كان يجرى داخل عاصمة الخلافة، من منافسات ومنازعات على السلطة - مثلا: أمراء الأمراء -، فضلا عن ضعف الخلفاء أنفسهم، وعدم قدرتهم على فرض الولاء التام، فينتزعون إلى الاستقلال عن الخلافة العباسية.

وولى مصر من عهد المعتصم بالله أحد أمراء الأتراك المدعو "بايكباك" على أن بايكباك - شأنه شأن سائر ولاة ذلك العصر - أناب عنه سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م ابن زوجته أحمد بن طولون، إلا أنه قتل بعد مدة قصيرة، وحل محله فى ولاية مصر أمير تركى اسمه "باركياروق" كانت تربطه بأحمد بن طولون روابط مودة أسرع إلى الزواج من ابنه الوالى الجديد تمتينا للروابط وضمانا لبقائه فى

الولاية. فكان له ما أراد، إذ أقره "باركياروق" على ولاية مصر بكاملها قائلا فى الكتاب: تسلم من نفسك إلى نفسك "فانسحب من مصر صاحب خراجها أحمد ابن المدبر إلى الشام سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م ليتقلد خراج دمشق وفلسطين والأردن".

فأحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية تركى الأصل - والده أحد مماليك المأمون - نشأ فى بغداد نشأه عسكرية، ونال قسطا وافرا من التربية الإسلامية وحصل محصلة فقهية غنية فى بغداد وطرسوس كان لها الأثر الكبير فى أخلاقه وسياسته بابتعاده عن العبث والظلم والجشع فى جمع الأموال. واتخذ لنفسه سياسة ذكية استهدفت الاستقلال بمصر كلها ليجعل منها دولة يحكمها هو وأولاده من بعده، على أن تربطها بالخلافة روابط شكلية منها:

- الدعاء للخليفة فى يوم الجمعة
- نقش اسم الخليفة على السكة - النقود.
- إرسال جزء من الخراج - ضريبة على الأراضى - الخليفة.

وأول ما يفكر فيه مؤسس الدولة إيجاد حاضرة لدولته. إما باتخاذ مدينة قديمة أو ببنائه عاصمة جديدة. كان أن أنشأ أحمد بن طولون مدينة سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م فوق جبل "يشكر" بين مدينة الفسطاط وتلال جبل المقطم عند مكان قلعة مصر اليوم لتكون عاصمة له. وبنى فيها قصرا فخما ترك أمامه ميدانا واسعا يستعرض فيه الجيوش. وأحاط بالقصر ثكنات جنوده وحاشيته، جاعلا لكل فئة من جنوده قطعة - وحدة - خاصة بها. فجاء اسم العاصمة جامعا لها "القطائع". وابتنى بها، إلى جانب قصره، مسجده الذى انتهى منه سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م، وهو لا يزال إلى الآن على حالته الأصلية باستثناء المئذنة التى أعيد بناؤها سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م. كما بنى بيمارستانا لمعالجة المرضى على اختلاف حالتهم، والحق بالبيمارستان صيدلية لإعطاء الأدوية اللازمة مجانا.

ولم يلبث "باركياروق" هو الآخر أن توفى سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م. فأصبح

أحمد بن طولون يحكم مصر من قبل الخلافة مباشرة بيده إدارتها وماليتها وقضاؤها وجيشها عندها أظهر أحمد بن طولون اهتمامه الكبير فى القضاء على الفتن الداخلية وبنوع خاص تلك التى أشعل نارها الخوارج والعلويون. كما أحكم رقابته على الموظفين وخاصة موظفى ديوان الخوارج. فحصل على زيادة فى الدخل دون اللجوء إلى إرهاق الأهالى، كما كان يفعل احمد بن المدبر فى السباق. ثم استغل هذا الدخل الكبير فى العناية بالمشاريع العمرانية، فربط البلاد بشبكة من الجسور، وحفر الترع ووطد الأمن، ورعى التجارة.

وكل هذه الأمور لم يقو على تحقيقها لو لم يبادر إلى إنشاء جيش كبير عددا وعدة لتوطيد مركزه من جهة والدفاع عن البلاد ضد أى خطر خارجى من جهة ثانية، فضلا عن توطيد الأمن داخل البلاد من جهة ثالثة. لذا أكثر أحمد بن طولون من شراء الرقيق حتى وصل عددهم فى عهده إلى أربعة وعشرين ألف غلام تركى وأربعين ألف أسود وسبعة آلاف مرتزقة.

لكن سيطرة طلحة الموفق على أخيه الخليفة المعتمد على الله فى حاضرة الخلافة أقلق بال أحمد بن طولون ولا سيما عندما طلب الموفق منه مساعدة مالية ولم يقدمها له. فأقدم الأخير على عزله عن مصر وتوليه "ماجور التركى مكانه.

وواجه أحمد بن طولون الموقف بشجاعة إذ أقدم على إظهار طاعته للخلافة بإرساله رسالة إلى الخليفة المعتمد سنة ٢٦٨هـ يحرصه فيها على المجيء إلى مصر، ويعده بالحماية، ويحرصه على جشع واستبداد أخيه الموفق فى الوقت الذى امتدت دولته من العراق شرقا إلى برقة غرب ومن آسيا الصغرى شمالا إلى النوبة جنوبا. لكن الموفق علم بمؤامرة ابن طولون فى محاولته نقل الخليفة إلى مصر وأفشلها، إلا أنه لم يتمكن من محاربته لانشغاله فى القضاء على ثورة الزنج، مكتفيا بتدبير المكائد والمؤامرات الأمر الذى جعل أحمد بن طولون يتبع السياسة نفسها تجاه الموفق. ويصدر أوامره بلعن الموفق على منابر مصر والشام، وحسن علاقته بالدولة الأموية فى الأندلس وسهل أمور رعاياها فى بلاده.

ثم توفى أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م قبل إنهاء الخلاف بينه وبين الموفق. فأسرع الأخير إلى الإغارة على الشام للقضاء على الدولة الطولونية لاعتقاده أن خماورية الذى خلف أباه فى حكم الطولونيين لم يكن رجل حرب لميله إلى حياة السلم والرخاء. فاستولى الموفق العباسى على الشام حتى الحدود المصرية. لكن خماوريه أفشل خطته ورده على أعقابه حينما قام على رأس قوة كبيرة من جيشه يساعده فى القيادة القائد "سعد الأيسر واستعدا سيطرة الطولونيين على البرد الشامية حتى الموصل والجزيرة الفراتية. وانتزاع من الخلافة العباسية اعترافا له بحكم مصر - هو وأولاده لمدة ثلاثين سنة عند عقد معاهدة صلح سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م. بينه وبين الخليفة العباسى المعتمد وولى عهده الموفق على أن يكف خمارويه عن لعن الموفق على منابر مصر والشام والدعاء له مع الخليفة المعتمد على الله العباسى.

وارتاح خماوريه من المضايقات بموت الموفق العباسى سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م. وموت أخيه الخليفة المعتمد على الله سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.

فدعم سلطانه فى مصر والشام وشد روابط علاقاته بالخلافة العباسية ترسيخا لسلطانه عندما تزوج الخليفة العباسى المعتضد بالله من ابنته أسماء - الملقبة قطر الندى سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م بعدها بنى خماوريه القصور والاستراحات على جانبى الطريق إلى بغداد كى تتمتع قطر الندى أثناء سيرها إلى بغداد بكل وسائل الراحة، فتشعر كأنها لم تفارق قصر أبيها.

انصرف خماوريه، بعد ذلك، إلى الاهتمام بالشؤون العمرانية. فحول الميدان الذى خصصه والده لعرض الجند إلى بستان تأنق فى تنسيقه وغرسه بمختلف أنواع الأشجار والأزهار ونافورات المياه. كما خصص قسما منه لإقامة حديقة للحيوانات والطيور المختلفة. وأخيرا ابتنى له وسط هذا البستان قصرا فخما سماه "دار الذهب" لطلاء جدرانه بالذهب والنقوش والرسوم المذهبة.

وفى سنة ٣٩٠هـ/ ٩٠٣م ظهر القرامطة بالشام فأرسل الطولونيون جيشا

لطردهم منها، لكن هذا الجيش منى بالهزيمة مما أضعف من هيبة الدولة الطولونية. ولما تأكدت الخلافة العباسية من ضعف الطـولونيين وانحلال أمرهم جددت رغبتها فى استعادة مصر من أيديهم قبل أن تقع فى أيدى القرامطة أو الفاطميين. فأرسلت سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م جيشا بقيادة محـمد بن سليمان الكاتب. كما طلبت من قائد الأسطول فى الثغور الشامية بالتوجه إلى مصر ومساعهدة قائدها الكاتب، لاستعادة مصر سيطرة العباسيين المباشرة.

لم يقو الأسطول الطولونى على الصمود أمـام السجطول العباسى، وكذلك الجيش البرى أمـام زحف جيش محمد بن سليمـان الكاتب الذى تمكن من اختراق صفوف الطولـونيين والدخول إلى مدينة القطائع سنة ٢٩٢ هـ، ٩٠٥م وتـدميرها تدميرا شبه كامل. وبذلك زالت الدولة الطولونيـة بعد أن تمتعت بالاستقلال الذاتى مدة أربعين سنة تقريبا، وعادت مصر إلى حكم العباسيين.

٣ - الدولة الأخشيدية ٣٢٣ - ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م

لم تستقر الخلافة العباسية وعـدم الأمور فى عاصمتها بغداد. فانعكست آثار هذه الأوضاع على مصر وسائر الأقاليم العـباسية آنذاك. وقد زادت الحالة الداخلية فى مصر سوءا بسبب الحملات الفاطمية من وقت لآخر بغية الاستيلاء عليها.

فى وسط هذه الظروف ظهر محمد بن طغج الملقب بالأخشيد. وهذا اللقب من ألقاب ملوك فرغانة فى بلاد ما وراء النهـر. وقد دخل جده "جف" فى خدمة الخليفة العـباسى المعتصم. ثم ابنه الواثق فـأخيه المتوكل بسـامراء. وعمل أبوه فى جيش أحمد بن طولون بنواحى طرسوس من أعمـال دمشق، كما دخل محمد فى عداد الحـملة التى جاءت إلى مصـر تحت قيادةت "تـكين" التركى. فأظهـر براعة حسنة فى قـتال الحملة الفـاطمية التى هاجـمت مصر سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م بقـيادة حباسـة بن يوسف الكتامى. وظل محمـد بن طغج يرتقى إلى أن ناب عن القائد التركى "تكين" فى عدة ولايات.. ثم استقـوى بعد أن صاهر الفضل بن جـعفر صاحب الكلمة فى بغداد عندئذ.

وأخيرا تحققت آمال محمد بن طغج لما أحست الخلافة العباسية بحاجتها إلى رجل قوى يقر الأمن فى مصر لاضطراب أحوالها بسبب مطامع القواد من جهة واستبداد محمد بن على الماذرائى صاحب الخراج فى مصر من ناحية أخرى، فولاه الخليفة العباسى بالله ٣٢٢ - ٣٢٩هـ/ ٩٣٤ - ٩٤٠م على مصر سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م بعد تصديه للحملة الفاطمية سنة ٣٢١ - ٣٢٤هـ/ ٩٣٣ - ٩٣٦م. ومنحه لقب "الأخشيد، فدعى له على منابر مصر والشام سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م. بهذا اللقب. فتأسست ثانى دولة مستقلة فى مصر أيام العباسيين.

وقلد الأخشيد محمد بن طغج الطولونيين فى جميع أعمالهم وبخاصة من الناحية السياسية والتاريخية. وحاكام فى بلاطه ومواكبه وتصرفاته. وحرص على إنشاء جيش قوى اعتمد عليه فى توطيد مركزه والدفاع عن البلاد. وسرعان ما افتضح أمره ونواياه فى العمل من أجل السيطرة على الشام. المر الذى أغضب الخليفة عليه. وقلد محمد بن رائق مصر. ومن جانبه الأخشيد رد على تكليف ابن رائق أعمال مصر بإلغاء الخطبة للخليفة العباسى. حتى قيل إنه أمر بذكر الخليفة الفاطمى بدلا منه.

ولما دارت الحرب بينهما تمكن الأخشيديون من الانتصار على ابن رائق قرب العريش. لكنه اضطر إلى القبول بالصلح بينهما على أن يتقلد ابن رائق الأراضى الشامية شمالى الرملة مقابل جزية سنوية مقدارها ٤٠ ألف دينار سنويا.

ثم لم يلبث أن مات ابن رائق، مما مكن الخشيد من استعادة نفوذه على بلاد الشام دون جهد. إلا أن سوء العلاقات بين الأخشيد وسيف الدولة الحمدانى فى حلب لم يبعث على الاستقرار فى مصر. وكان ذلك فى الوقت الذى خرج العلويون على الاخشيد فى مصر

وسيف الدولة الحمدانى فى حلب لم يبعث على الاستقرار فى مصر. وكان ذلك فى الوقت الذى خرج العلويون على الأخشيد فى مصر تطلب منه جهدا كبيرا لتهدئة الأوضاع داخل البلاد. انصرف بعدها إلى محاربة الحمدانيين واستعادة

البلاد الشامية التى غلب عليها الحمدانيون فانتصر الأخشيد يساعده قائداه كافور الحبشى وفاتك الرومى عليهم فى موقعة قنسرين بسوريا الشمالية، ودخل مدينة حلب واسترد دمشق، لكن الأخشيد عاد وتنازل عن حلب وشمال سوريا لسيف الدولة الحمدانى بعدما عقدت معاهدة صلح بين الطرفين ختمت بزواج سيف الدولة من ابنه أخى الأخشيد تمتينا لعرى الصداقة بين الدولتين سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م.

عرفت البلاد التى امتد نفوذ الأخشيد عليها - مصر واليمن والشام فضلا عن أمر مكة والمدينة - حالة من الرخاء نتيجة لامتلاكة ثروة طائلة، واتباعه سياسة إصلاحية فى مختلف مرافق البلاد من قصور وبساتين. ومات الأخشيد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م ودفن ببيت المقدس. فخلفه ابنه أبو القاسم أو نوجور على أن يقوم بالوصاية عليه كافور الذى أصبح صاحب السلطان فى إدارة شؤون الدولة.

حتى سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م، وعلى بن الأخشيد الى مات سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م أعلن بعدها نفسه واليا على مصر من قبل الخليفة.

وقد نجح كافور فى سياسته الخارجية والداخلية، سواء فى محاربة سيف الدولة الحمدانى والحد من أطماعه فى بلاد الشام، إلا فى القضاء على الثورات الداخلية وتوطيد الأمن والاستقرار فى البلاد وقد تعرضت بلاد الشام لغرات القرامطة فنهبوها وقبضوا على قافلة مصرية كبيرة للحجاج تتألف من ٢٠ ألف جمل كانت فى طريقها لأداء فريضة الحج. فضلا عن الزلازل المروعة التى وقعت بالبلاد، والنيران الهائلة التى التهمت ١٧٠٠ منزل بالفسطاط، وإغارات ملك النوبة التى تواصلت هجماته حتى أخميم.

ونجح دعاة الشيعة فى بث دعوتهم فى أنحاء البلاد المصرية حتى كثر أتباعهم فيها، ومحاولات الهجوم عليها من قبل الفاطميين فى المغرب لم تنقطع حتى إذا توفى كافور سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م أرسل المعز لدين الله الفاطمى قائده جوهر الصقلى على رأس حملة كبيرة نجحت فى الاستيلاء على مصر سنة ٣٥٨هـ/

٩٦٩م. وبذلك سقطت الدولة الأخشـدية لتحل محلها الدولة الفـاطمية فى حكم مصر والشام.

* * *